قصة مبكية لأخت كانت فاتنة

للشيخ خالد الراشد

البداية

كانت تسمى فاتنة، واسمها يصف حالها: جريئة، متحررة، مثقفة في كل شيء إلا في الدين.

كانت ترى أن الدين مجرد "قلب طيب"، أما الحلال والحرام فهي شكليات.

تخالط من تشاء، وتلبس ما تشاء، وتفعل ما تشاء.

ليلة عيد الميلاد

جمعت صويحباتها في الكلية لتحتفل بعيد ميلادها، تقليدًا للكفار.

كانت في أجمل هيئة، تدور بين صديقاتها بالضحك والسخرية.

سألت: "ماذا ينقص حفلتنا؟"

ثم أجابت ضاحكة: "تنقصنا الشيخة علياء!" فانفجرن بالضحك.

لكن إحداهن قالت: "ولِمَ الضحك؟ أليست زميلتنا وصديقتنا؟ لقد كانت مثلنا، ثم اهتدت تبحث عن الآخرة."

لكن فاتنة سخرت منها ومن علياء، واعتبرت الدين هوسًا وحرمانًا من الحياة.

طريقان مختلفان

تخرجت فاتنة، وتخرجت علياء.

لكن لكل منهما طريق:

علياء سلكت طريق الإيمان والعفة.

وفاتنة غرقت في لهو الدنيا، حتى أصابها مرض عضال.

اللقاء في المستشفى

في إحدى الليالي، دخلت الطبيبة المناوبة الجديدة إلى غرفة مريضة تحتضر.

كانت الطبيبة علياء.

اقتربت من المريضة، فإذا بها تقول بصوت متقطع:

"أسألك بالله، أأنتِ علياء؟"

قالت علياء: "نعم."

فبكت المريضة بشدة، وضمتها إلى صدرها وهي تقول:

"أنا فاتنة... التي سخرت منك."

اعترافات مؤلمة

بدأت فاتنة تروي قصتها:

المرض أنهكها وأقعدها.

تذكرت استهزاءها بالدين واغواءها للشباب والفتيات.

شعرت أن مرضها عقوبة على ما اقترفت.

صارت تردد: "لست فاتنة... بل ظالمة."

توبة صادقة

رفعت يديها للسماء وقالت:

"اللهم اشهد أني قد رجعت إليك.

إن عافيتني فلن أعصيك أبدًا، وإن توفيتني فلن أيأس من رحمتك."

ثم أخذت تبكي بحرقة، وتردد:

"إلهي... لا تقطع رجائي.

إلهي... اغفر لي فقد ظلمت نفسي ظلمًا كبيرًا.

إلهي... إن عظمت خطيئتي فعفوك أعظم."

العبرة

السخرية من الدين ليست حرية، بل ظلم للنفس.

طريق الله هو النجاة الحقيقية.

التوبة لا يغلق بابها ما دام في العمر نفس.
"قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعًا."

النص الكامل للمحاضرة

قصة مبكية لأخت كانت فاتنة

اسوقها اليكي. هذه القصة التي هي بعنوان انا لست فاتنة بل ظالمة. اختفرتها مع طولها.
ففيها من العبرة الكثير. اسمها فاتنة. وهي كثمها.
جريئة متحررة. مثقفة في كل شيء الا في الدين. الدين عندها ان تكون ذات قلب طيب.
ولا عليها بعد ذلك. تخالق من تشاء. تلبس ما تشاء.
تفعل ما تشاء. جمعت ليلة صوي شباتها في الكلية. للاحتفال بعيد ميلادها.
عيد ما انجل الله به من سلطان. ورثناه عن الكفار. تشبها وتقليدا.
ومن تشبه بقومه. ساترك البقية لكم. كانت في اجمل هيئة واحسن مظهر بدأت تدور بين صوي شباتها.
تطلق الضحكات هنا وهناك. تسألهم اتدرين يا بنات؟ ماذا ينقص حفلتنا هذه؟ فاجبناها اجابات وهي تقول لا ثم لا. وهي مصرة على سؤالها.

ثم قالت مجيبة على سؤالها وهي تضحك تنقصنا الشيخ عليا. تنقصنا الشيخة عليا. فانطلقت موجات الضحك من كل مكان.

ثم قالت احداهن مدافعة لماذا كل هذا الضحك؟ لماذا كل هذا الضحك والاستهزاء بعليا؟ اليست زميلتنا في الصف؟ اليست صديقتنا في الكلية؟ الم تكن الى عهد قريب رفيقة لنا في سهراتنا وحفلاتنا؟ وهي الان في محرابها مع صلواتها وقرآنها. انها تبحث عن الاخرة. ونحن عم ماذا نبحث؟ فتجاهلنا سؤالها.

قالت اخرى لقد ذهبنا اليها. اي الى عليا. لندعوها لعيد الميلاد.

ولكنها اعتذرت. واعطتنا محابرة طويلة عريضة في الاخلاق والدين والعادات والاجتماعات. قالت فاطنة مسكينة عليا.

لقد كانت عاقلة متحررة قبل ان يصيبها هذا الهوى الديني الذي اختطفها من بيننا. قلت انا سبحان الله اصبح الدين هوسا وجنونا. ثم تابعت حديثها وهي تقول فعلا مسكينة عليا.

لقد انقلبت بسرعة. وتسممت افكارها. وتغيرت هيئتها.

لقد اطالت كيابها. فاصبح منظرها ككبيرات السن. لم تعد تؤمن بان خير اللباس ما قل ودن.

والادهى من ذلك. شعرها اصبح بضاعة محرمة مغطاة تحت ذلك السواد. مسكينة عليا.

نسيت ان الله تهمه منا القلب. وكل ما عدى ذلك شكليات. الله اكبر.

اصبح الهجاب والتمثل بالدين شكليات. قاتل الله الشاشات والقنوات. ثم تابعت فاطنة حديثها عن عليا.

انها تخوفنا من النار. وان الله سيحرق به اجسادنا المكشوفة. انها تندرنا من شيء اسمه الموت.

واخر تسميه الحساب. بل اسمعوا يا بنات. انها تحملنا فقالت احداهن لقد قتلتها الهواجس والوساوت.

ونسيت ان المساء للرجال خلقنا ولهن خلق الرجال. مسكينة عليا. اين تتجد فتا احلامها؟ اين تتجد السعادة والانس؟ لقد قتلت نفسها وفي في ريعان السباق.

ولابد ان نصنع شيئا لانقاذها. مساكين ما دروا ان هنا هن بحاجة الى الانقاذ. فارتفعت الاصوات.

لابد من انقاذها. انها تقتل نفسها بطول العبادة. وبكثرة الصيام قراءة القرآن.

ولذوم البيت. فلا اسواق ولا حفلات عندما نسيخ ونهرم. انه الامن الطويل.

انه الامن الطويل. والله ما حال بين الناس وبين الصدق في التوبة الا طول الامن. ومن اطال الامن اتاء الامن.

قال الله عنهم ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلهيهم الامن. انتهى الاحتفال. ودارت سنوات تخرجت فيه فاتنة.

وتخرجت علياء. فماذا حدث لفاتنة؟ وماذا حدث لعلياء؟ تعالوا احبتي اعطوني المسامع نسابع القصة من مكان اخر. في احدى المستشفيات في الدور الرابع في غرفة من الغرف صوت انين مريضة يملأ الغرفة.

انها في تلك الغرفة منذ عدة اشهر. ولقد ايت الاطباء من حالتها. واصبح صوت انينها معسادا مألوفا في المستشفى.

ولا احد يستطيع ان يفعل لها شيئا. لقد تعودت الممرضات على سماع انينها. اما الطبيبة المناوبة الجديدة في المستشفى فلم تستطع ان تتجاهل ذلك الصوت وذلك الانين فقلبها مليء بالرحمة وهكذا الايمان يملأ القلب رحمة وعطفا على الاخرين فاخذت بعض العقافير والمهدئات ودخلت في تلك الغرفة فتحت الباب فاذا بامرأة على السرير في شبه غيبوبة جستت نبضها فاذا هو ضعيف على وشك التوقف اصبحت الى تنفسها كان مضطربا خافتا جلست بجانبها واعطتها بعض المنعشات فافاقت بعد قليل واستوت على سريرها ادارت عينيها فيما حولها المريضة ادارت عينيها فيما حولها ثم ثبتت نظرها على وجه الطبيبة ثم اخذت تفرك عينيها في يديها الضعيفتين ثم زاد اضطرابها ثم قالت للطبيبة اسألكي بالله من انتي؟ اسألكي بالله من انتي؟ فقالت انا الطبيبة يا امي انا الطبيبة يا امي فقالت المريضة انا لا اسألكي عن مهنتكي انا اسألكي عن اسمكي اسألكي بالله انتي انتي علياء؟ اسألكي بالله انتي انتي علياء؟ فقالت الطبيبة باستغراب.

بلى انا علياء. ففي لحظات اذا بالمريضة تأخذ برأس علياء تطوقه ببرائها وتضمه الى صدرها وتقبله وتجهج بالبكاء. زاد استغراب علياء.

وصعقت. من عسى تكون هذه المرأة؟ فهل بها ماتتم من جنون؟ وكيف عرفتني؟ وانا لم اقابلها من قبل. ولم يسبق لي علاجها.

بل هذه اول ليلة لي في هذا المستشفى كطبيبة مناوبة. فرجعت علياء برأسها الى الوراء. واخذت تنظر الى المريضة مشتوحة لا تدري ماذا تفعل.

ثم قالت للمريضة من انت يا خالة؟ وكيف عرفت اسمي؟ وهل انتقينا من قبل؟ فردت المريضة بصوت تخبطه العبراء. نعم يا علياء لقد انتقينا مرات ومرات. ان اسمك وصورتك لم يسارق خاطري.

خاصة عندما اصابني المرض قبل ثلاث سنوات. اه يا علياء. اه يا علياء.

انا التي اكلت لحمتي واستهزأت بكي. انا فاتنة يا علياء. انا فاتنة يا علياء.

ثم انفجرت بالبكاء والنحيم. صدمت علياء. ولم تستطع الكلام.

ثم قالت وهي لا تصدق ما سمعت. اقسمت عليك بالله. انت فاتنة؟ مستحيل.

فاتنة كانت كاسمها. اصغر واجمل وانظر. فقالت فاتنة بصوت خافت متقصع نعم.

انا التي كان يقال لها ذات يوم قاتنة. انا التي كان يقال لها ذات يوم قاتنة. فاكبت عليها علياء تضمها الى صدرها.

وتجهج بالبكاء الفريل الانهي عليها. فلما هدأ البكاء. اقبت قاتنة تروي قصة سبعة نين منذ ان افترقتها.

قالت تخرجت من البكالوريا. اشك بالله. لم اكن اشك بالله.

ولم طيبة القلب وكفا. تعرفت على كثير شبان وفتيات وطيان ثم ميلة رائعة التي تعرفينها. فقال الاطباء انه وجاء التشيط الجديد ليقول بداية تورم وهكذا استحالت الفرحة الى صرطان.

ثم اخذ الصرطان ويزيد. الى ان اقعدني هنا فلما سمعت علياء ثم سمالكت نفسها. مطابر جميل والله مع الصابرين.

وغطت وجهها بكفعها. ليسه الابتلاء. ليسه الابتلاء.

ولكنه الانتقام. لكم تجاهلتم؟ لكم تجاهلت تلك الآيات تقرأ على مسامعي؟ لكم تجاهلت كلام امي الصالح الحنون؟ انه الانتقام للضحايا الذين قتلتهم واغويتهم. يا الله كم اغويت من شاب وكم افتدت من فتاة ثم اخذت تردد وتقول لقد ظننت انك لا تأخذ لقد خدعتني نفسي وغرني املي.

انا افتها نعم صحيح. ولن يكون معي مال ولا لن يكون هناك ثوس ولا اصحاب. يا الله كيف سأسارق صغيرتي ثوسا؟ انا لازم صغيرة ولم اسبع من الحياة.

ثم تلمست عينها وقالت لكما ارى النور وكم افتدت بنظراتي من شاب احقا سيأكلكم اخذتها علياء بين ذراعيها واخذت تقرأ عليها القرآن وتدعو لها بالشفاء واخذت تقول لها كفا يا فاتنة لا تيأتي من رحمة الله ولا من شفاء الله. قالت فاتنة اسألك بالله يا علياء؟ اغفر الله لي؟ وقد فعلت ما فعلت. واجرمت ما اجرمت.

فقالت علياء بثوس واسع. وكيف لا يا فاتنة؟ اليس الله واسع المغفرة؟ اليس الله ثواب الرحيم؟ الم تتمعين اولى الله؟ وهو يخاطب العفاء. قل يا عبادي الذين اترفوا على اخذكم.

لا تقرطوا من رحمة الله. ان الله يغفر الذنوب جميعا. انه هو الغفور الرحيم.

فقالت فاتنة بربك يا علياء لا تناديني بعد الان فاتنة. ناديني ظالمة. نعم ظالمة.

لقد ظلمت نفسي كثيرا. واجرمت في حق نفسي جرما كبيرا. ثم وبقدرة عجيبة استوت فاتنة على سريرها.

ورفعت يديها الى السماء. وهي تركج بضارعة. واخذت تدعو الله برقة وخسوع.

اللهم اسهد باني قد رجعت اليك. وانمت اليك. فها اندى طريحة على بابك.

اللهم ان كنت قد كسبت لي الشفاء. وهذا ليس صعبا عليك. وقد اخفق الاطباء وعجز الحكماء.

فاشهد يا حكيم. اشهد يا حكيم. باني لن اعطيك ابدا ما بقيت.

اللهم وان كنت قد قدرت علي الموت عاجلا. فاشهد يا رحيم باني لن ايأت من رحمتك. اللهم وان كنت قد قدرت علي الموت عاجلا فاشهد باني لن ايأت من رحمتك.

ولن اقنط من مغفرتك. طالما بقي في قدري نفس يتردد يا رحمن الدنيا والاخرة. يا الله فلم تنفي ظلما كبيرا ولا يغسل الظنوب الا انك انت الغفور الرحيم.

اله لان جلت وعظمت خطيئتي فعفوك عن ذنبي اجل واوسع. اله لان اعطيت نفسي سؤلها فها انا في روضة الندمة ارفع. اله طرحالي وفقري وفاقتي.

وانت مناجات قفية تسمع. اله فلا تقطع رجائي. ولا تدق قلبي.

فليتي نهر جوذك مطمع. اله اجرني من عذابك انني. اثير دليل خائف لك اطبع.

اله اذقني طعم عفوك. يوم لا بنونة. ولا مال هناك يمتعون.

قال احد الطالحين ان ملك الموت عليه السلام اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عملك ساعة. وانك لا تستأثر عنها. وانك لا تستأثر عنها طرف سعيد.

فيبدو للعبد من الاستئم والحسر فما ظهر به عليك. فيتمنى على ان يضاف الى الساعة ساعة اخرى. فلا يجد الى ذلك سبيلا.